فلاتر

حدّثني صديقٍ قديم قال:

لديّ ابن وحيد، وصل سنَّ الزواج، ولد ناجح في عمله ولديه مكتب كبير في مركز المدينة. أردنا أنا وأمه أن نجد له شريكة حياة، زوجة من عائلة محترمة من مستوانا الاجتماعيّ والفكريّ. قامت زوجتي بزيارة بعض البيوت سعيًا وراء الزوجة المنشودة، رغم استياء ابننا الذي أراد اختيار عروسه بنفسه دون تدخّل العائلة. صادف أن تعرّف ابني على فتاة جميلة من خلال "الانستغرام" حيث قامت هذه الفتاة بنشر صورها عليه.

أجرى ابني بعض المحادثات مع البنت وقرّر لقاءها على أمل أن يتفقا على الارتباط بعلاقة زوجيّة مقدّسة. قرّر ابني، قبل لقائه مع الفتاة، أن يفاتحنا بالموضوع.

قام ابني بعرض صورة العروس عليّ وعلى أمه. رأينا فتاة جميلة جدًا، بيضاء البشرة زرقاء العينين، طويلة الشّعر. باختصار الفتاة المثاليّة من ناحية الشكل.

ذهب ابني ذات مساء للقاء هذه الفتاة في أحد المقاهي في المدينة وبقينا أنا ووالدته ننتظر عودته على أحر من الجمر. بعد ساعة وربع عاد ابننا ودخل إلى غرفته فورًا. دخلنا أنا وأمه وراءه لنعرف ماذا حدث ولماذا عاد بهذه السّرعة. وعندما سألناه ما السّبب نطق ابننا كلمة واحدة لا غير: "فلاتر".

لا حاجة للتّوضيح، فقد كانت الصّور كلها مزيّفة بتأثير التكنولوجيا، وهذا ما قصد به ابننا عندما قال "فلاتر"، فالفتاة كانت بعيدة كل البعد عن الصّور التي ظهرت بها في الانستغرام.

في الحقيقة أنا لا استغرب ذلك فكثيرًا ما أرى فتيات يعملن معي يظهرن بصور على "الفيسبوك والانستغرام"، وكأنّهن ملكات جمال العالم، لدرجة أنني لا أتعرف عليهنّ وأفرك عيناي كي أتأكد من الأسماء وأتساءل هل المعقول أنها بهذا الجمال؟!

هل أصبحت حياة الكثيرين منّا عبارة عن كذبة كبيرة؟! صورنا "المفلترة" على منصّات التواصل الاجتماعي، العدسات اللاصقة على العيون التي تتقلب فيها الألوان الشّرقيّة إلى الغربيّة، والشّعر الأشقر الطّويل حتى تظن أنّها من سلالة ملوك السّويد والكثير من الأمور التي لا أعيها ولا أفهمها.

الكذب يكون إمّا بتزييف الحقائق كلّيًا، أو جزئيًّا، أو خلق روايات وأحداث جديدة لتحقيق هدف معيّن قد يكون ماديًّا ونفسيًّا واجتماعيًا.

عندما سُئِل الزّعيم الهندي "غاندي" عن أخطر انسان في الحياة قال: "الكذاب"، وقال كذلك: "أنا أتقبّلك ناقصًا لكن لا أتقبّلك كذابًا".

هل أصبحنا كذابين؟ ماذا بالنّسبة لعلاقاتنا الاجتماعيّة وضحكاتنا المزيّفة؟ أقوالنا التي نجامل النّاس بها، المدائح التي نكيلها على رؤسائنا في العمل؟ صورة المرأة مع زوجها الذي تكرهه ولا تطيقه ورغم ذلك تمسك بيده وتبتسم في الصّورة المُعنونة "حبيب العمر". الأزواج والزّوجات الذين يسجّلون أسماء أزواجهم في التلفونات:

"حياتي"، "تاج الراس"، "عمري"، "روحي". ماذا بالنّسبة لأقوالنا التي لا تترجم أفكارنا؟ نعيش كذبة وراء كذبة لنرضي الآخرين. هل أصبحنا كذّابين لنكون مقبولين في مجتمع شرطٌ فيه أن نكون كذّابين. كم منّا ومنكم نخاف أن نقول ما نفكّر فيه؟! سيقول البعض أنّ الكذب في هذه الحالات مقبول وهو عبارة عن استراتيجيّة مشروعة كي نستمر في الحياة، إذ أنه لو اكتشف الآخرون الحقيقة لكان الأمر خطيرًا لأنّ الحقيقة مخيفة ولا يستطيع الكثيرون التعامل معها.

سأل رجل زوجته: "هل تحبينني"؟

فلم تجبه، فألحّ في السؤال وأقسم عليها أن تجيب، فقالت له: "لا أحبك".

فذهب الرّجل إلى الخليفة "عمر بن الخطّاب" شاكيًا باكيًا. استدعى "عمر بن الخطّاب" الزّوجة وسألها عن الموضوع فقالت: "أنه أقسم عليّ أن أجيب، فهل تريدني أن أكذب"؟!

قال لها عمر: "نعم، اكذبي في سبيل الإبقاء على الزّواج والعائلة".

حياتنا كذبة كبيرة نمارسها بكل صدق وأمانة ونعيش تفاصيلها ونطبّقها، كقول المثل الشّعبي "كذّب الكذبة وصدّقها"، وعندما يضيّق الخناق ندّعي أنّها بيضاء ونقيّة ونبتسم، لكن الجميل أنّ الكذب ليس له أرجل وسرعان ما ينهار ويفضح صاحبه لأنّ الذاكرة تخون الكاذب غالبًا.

دمتم بلا "فلاتر"

أ.أيمن جبارة